ISSN/ 2788-9777

المجلة العلمية لجامعة سيئون

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - ، تعنى بنشر البحوث العلمية في مجالات العلوم الإنسانية والتطبيقية . تصدرها نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي

المجلد الثاني العدد الأول يونيو ٢٠٢١م

أشكالُ الزّمن ودلالاتُها في لغة قصيدة بارجاء (زمني لست أنت)

أحمد سعيد عبيدون *

الملخص:

درس هذا البحث خصوصية الزمن في قصيدة علي أحمد بارجاء: (زمني لست أنت) في علاقة الزمن بالوقت في بُعدها اللغوي، وفي تجليات الزمن في الأنواع الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، وفي أثره في بناء فنّية النص: في معجم القصيدة، وفي صياغتها، وفي محطات زمنية تناصية منفصلة عن القصيدة، ومتصلة بنصيتها. فكانت الهيمنة للزمن؛ وللزمن الحاضر بالذات، في انفصال بين الزمن والوقت / والزمان والمكان، وفي ضعف الفعل الإنساني الذي اتسم (بالركود)، منتجًا الجفاف والتصحّر في علاقة السماء بالأرض، والخواء، والشراهة، والعبوس، والسآمة، والإفلاس، والكذب، والعمالة، والتبعية، وإشعال الحروب في العلاقة بين الزمن والفعل. كما تعالقت في النص أزمنة تناصية أربعة في نصوص من القرآن الكريم، والتراث العربي القديم، فكانت القصيدة علامة في الوعي على الزمن اليمني الحديث والمعاصر.

الكلمات المفتاحية: الزمن، الوقت، المكان، الجفاف، الاخضرار.

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب واللغات – جامعة سيئون — حضرموت — اليمن .

Tybes of Tense and its Connotations in Barja's Poem (My Time is not You)

Ahmed Saeed Obaidoon*

Abstract

This study examines the peculiarity of tense in the poem of Ali Ahmed Baraja: (My time is not you), in terms of the relationship of time(diachronic) to time(synchronic) in its linguistic dimension, and in the manifestations of tense in the three types: past, present and future. It also investigates the role of tense in building the artistry of the text in relationto the poem's lexicon, its structure, and interstitial time stations, separate from the poem and connected to its script. The hegemony was for the tense, the present time in particular, in terms of a dichotomy between time/tense and place, the weakness of human action that was marked by (stagnation), producing drought and desertification and the relationship between heaven and earth, as well as emptiness gluttony, frowning, darkness, bankruptcy, lying, employment and dependency, and the ignition of wars in the relationship between tense and action. Four intertextual times were connected in texts from the Holy Qur'an and the ancient Arab heritage. Therefore, the poem was a sign of awareness of the modern and contemporary Yemeni time.

Keywords: time, place, drought, greenness.

* Department of Arabic language , College of Arts and Languages, Seiyun University , Hadhrmout ,Yemen

في الزّمن والوقت :

عند استقراء مادتي الزمن والوقت في لسان العرب(1)، نجد أنّ هناك فروقًا في الدرجة في إطار العلاقة المتبادلة بينهما، فـ((الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره))، ((والزمان: العصر))، في حين أن ((الوقت مقدار من الزمان))، وهذا يعني أن الزمن أكبرُ وأكثر، وأن بينهما علاقة الكل والجزء ، وهذه الجزئية في الوقت تجعل الزمن يتّصف بالطّول والامتداد والوقت بالقصَر((أزمن الشيء طال عليه الزمان ، وأزمن في المكان: أقام به زمانا))، ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، والدهر لا ينقطع، والدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها)) وهو ما يجعل الدهر متصلا بالزمان كما يجعله أوسع منه، ثم نجد في الزمان صفة الدوران والتتابع، فـ((الزمان يقع على فصل من فصول السنة، وعلى مدة من ولاية الرجل وما أشبهه))، وهذا يعني أن الزمان متصل متتابع حتى يمر بأزمنة الفصول وأزمنة الحكم على مر العصور.

يتصل الوقت أيضا بالمكان، وقد ((استعمل سيبويه الوقت في المكان تشبيها بالوقت في الزمان لأنه مقدار مثله)) ،كما نرى الوقت متصلا بفعل الإنسان الإيجابي في الزمن، مثلما يقسّم المسلمون وحدة اليوم الزمنية إلى خمسة أوقات يقيمون فيها أحداث الصلوات ((إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا))(2) ((أي كتبت عليهم في أوقات موقوتة))، وأماكن معلومة. ويظهر اتصال الزمان بالمكان هنا في (الميقات) وهو ((الوقت المضروب للفعل والموضع))؛ أي للحدث والمكان ((يقال هذا ميقات أهل الشام للموضع الذي يُحرمون منه، فكلمة الميقات اتصل فيها الزمان بالمكان في لحظة فعل الإنسان المسلم بالإحرام فسمي الموضع باسم الوقت نفسه (ميقات).((فالتوقيت والتأقيت أن يُجعل للشيء وقتٌ يختص به ، وتقول وقّت الشيء يوقّته إذا بيّن حدّه، ثم اتسع فيه فأطلق على المكان، فقيل للموضع ميقات))، ومسألة الاتساع هذه تدل على أفقية الوقت وجزئيته في عمودية الزمن وامتداده.

يجري هذا (التوقيت) متصلا بفعل الإنسان في أحداث إيجابية في كل شيء .كما يبدو . وكما مرت أحداث الصلاة والإحرام في الميقات؛ هذه الدلالة الإيجابية المقدسة للوقت وهو يقطع الزمن بفعل الذات، تقابلها دلالة سلبية للزمن حين يكون الإنسان عاجزا فيه، وغير قادر على إنتاج فعل إيجابي: فـ((الزمن الزامن الشديد))، و((الزمان آفة في الحيوانات، ورجل زمن أي مبتلى بيّن الزمانة، والزمانة العاهة، والزمانة الحب))، ((وفي الحديث إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب. أراد قرب انتهاء أمد الدنيا.))

يمكن القول أخيرا إن الصلة بين الزمن والوقت تميزها مجموعة من الثنائيات المتضادة والمتآزرة معا في علاقة متصلة في الآتي :

الكل والجزء/ التتابع والاتساع / الطول والقصر/ العمودي والأفقي/ السلبي والإيجابي / التاريخي والإنساني /الزماني والمكاني ، وهو أمر ليس ببعيد عن مفهوم التزامن والتعاقب(3) كما هو عند دي سوسير في علم اللغة الحديث.(4) وحين ننظر إلى الزمن والوقت في القصيدة نجد أن الكلمة الأكثر ورودا هي (الزمن)؛ فقد

وردت في النص إحدى عشرة مرة، في حين لم ترد كلمة (الوقت) سوى مرة واحدة كالآتي:

زمني لست أنت / زمني أثقلته التجاعيد / زمني كان لحنا / زمني اليوم منحدر/ زمني يتصحّر / والزمن الاخضرار / يا زمنًا أحرقته المطر / في زماني روائح جدي / هل زمان الأحاجي تدحرج / في زماني حروف تفوح برائحة البلبلة / زمني هل تعود كما شاء طفلي.

كان الزمن سلبيا في كل المواضع الإحدى عشرة، موافقا لمعنى الزمن في اللغة ماعدا موضعين: الأول (زمني كان لحنا) وهو موضع يشير فيه الزمن إلى الماضي ، والثاني: (زمني هل تعود كما شاء طفلي) وهو الموضع الذي يشير فيه الزمن إلى المستقبل؛ لحظة يتمنى فيها عودة الزمن جديدا مع إرادة جيل قادم، زمن لم يأت بعد، وما تبقّى من مواضع الزمن . وهو الأكثر . يخص هذا الزمن الحاضر البائس المليء بالبياس والجفاف في شكله ومعناه.

ويمكن الإشارة إلى أجزاء تعاقبية من الزمان في (الشتاء) و(الربيع) ولكن بدلالتين سلبيتين أيضا تصبان في الدلالة السلبية الأساسية للزمن؛ إذ نجد الشتاء يملأ زمن الفصول حضورا فإذا جاء الربيع لم تجد العصافير فيه بُغيتها، ولم تستقبلها الغصونُ بالخضرة والخصوبة؛ بل بالجفاف:

"(الشتاء) يجيء على غير موعده
والطيور التي هيأت للربيع ملامحها
خاصمتها الغصون"(5)

أما الوقت فقد ورد مرة واحدة في صيغة الجمع: (أوقات) في قوله:

"أيها الراكدون:
الشراهة تأكل اوقاتكم وتميت الفرح"

وهي دلالة تجعل الإنسان عاجزا عن إنتاج فعل إيجابي في الزمن؛ إذ هو في حالة الركود منتم إلى شهوة البطن بعيدٌ عن العقل والتفكير ، فلا غرابة إذن أن ينتج انعدام الفعل في الزمن والشراهة الحزنَ والبؤسَ الذي يجعل الفرح يموت!

أشكال الزمن:

يتوزع الزمن في قصيدة بارجاء: (زمني لست أنت) على ثلاثة أشكال أساسية: الزمن الماضي، والزمن الحاضر، والزمن المستقبل أو الآتي.

(1) أما الزمن الماضي:

فهو زمن ينقسم على قسمين: زمن جميل تطمح الذات للوصول إليه، لكنه يرد في القصيدة مرة واحدة حسب، في إشارة سريعة تدل على المضي والانسجام والقرب من القلب في قوله:

((زمني كان لحنًا تردده الأوردة.))(6)

ويرد الزمن الماضي أيضا بمعنى آخر تقف الذات منه موقف الإنكار والرفض، وهو الزمن الماضي الذي هو زمن الأجداد المتحجّر المهيمن على الزمن الحاضر، ذلك الزمن الذي يتميز بالتكرار، والضجر، والضيق ، والملل، والغباء، واللامعنى، والرؤية المغلقة، وهي صفات دلت عليها إشارات وصور وردت في القصيدة مثل: الحجر، والنقيق، والبلبلة، والفوانيس المبهمة، والطرق المغلقات في المقطع:

"في زماني روائح جدي تطارد رائحتي
هل زمان الأحاجي تدحرج فوق جماجمنا حجرا
الترانيم مشبعة بالنقيق
في الهمس ضج الضجر
حولتنا الأزقة كالببغاوات
أصواتنا امتزجت بالنهيق

في زماني حروف تفوح برائحة البلبلة
الحروف التي أسمعتنا أغاني الهزار
أعلنت للقواميس عصيانها حين ولى النهار
والفوانيس مبهمة الضوء في الطرق المغلقات" (7)

هذا الزمن الماضي السيئ ما زال ممتدا في الزمن الحاضر ، يصب فيه ويزيده سوءا ، ويعمّق من رداءته وقبحه.

(2) الزمن الحاضر:

يمثل الزمن الحاضر الزمن المميز لهذه القصيدة ، والزمن الحاضر بسوئه ورداءته، وهو يبدأ حضوره القوي منذ العنوان؛ إذ تحمل الذات نحوه رفضا ونفيا : (زمني لست أنت!) وهو حاضر بقوة جعلته حين خاطبه وناداه لم يحتج معه إلى ذكر أداة للنداء: (يا زمني)؛ لشدة تلبّس الذات وقربها منه، ثم ينفيه: (لست أنت)، ينكره ويرفض أن يكون هو الزمن الذي يقبله ويتميز به، كأنما يريد أن يقول إن الجدير أن يتميز فيه زمن آخر أفضل وأجمل من هذا الزمن السيء والرديئ. إن الفصول التي تُذكر في هذا الزمن اختزلت في فصلين الشتاء والربيع ، أما الشتاء فهو الذي يهيمن ويحضر ويجيء من غير موعد مسبق، يجعل الأرض جافة قاحلة خالية من الاخضرار، وأما الربيع فلا يجد مجالا للقدوم في هذا الجفاف، في زمن لا يخلو من المطر، ولكنه المطر الذي يحرق الزرع ويجفف الأغصان ويشرد الطيور :

"زمني يتصحر
والزمن الاخضرار
يا زمنا أحرقته المطر
الشتاء يجيء على غير موعده
والطيور التي هيأت للربيع ملامحها
خاصمتها الغصون"(8)

وحين نتأمل في تفاصيل هذا الزمن، نجد أنه حاضر بفعل نوعين من الناس هم الذين تقع على عاتقهم مسألة تغييره من السوء إلى الأفضلية ، النوع الأول سماهم (الراحلون)، والنوع الثاني سماهم (الراكدون)، وهما قد جاءا في صيغة اسم الفاعل المقترن بأل؛ أي الذين يرحلون والذين يركدون ، فزمنها حاضر ممتد مستمر، كزمن الفعل تماما؛ لأن ((اسم الفاعل هنا قائم مقام الفعل فهو اسم لفظا فقط)) كما يقول الجرجاني في المقتصد(9). أما الراحلون: فيتميز معهم الزمن بأنه شاخ وهرم و امتلأ بالتجاعيد ، وهم يتميزون بالضعف وعدم القدرة على التغيير؛ لأنهم متعبون ، ضعيفو الرؤية طريقهم صعب ومنزلق وخطير ، وهم مؤمنون ويحاولون الوصول إلى هدف التغيير ولكنهم في النهاية يفشلون:

" زمني أثقلته التجاعيد
والراحلون على متنه متعبون
أيها الراحلون
الرحيل إلى الشمس ليل تدافعه نجمتان
والطريق صعود ومنزلق وانحدار" (10)

وأما الراكدون: فهم جنس من الناس فقدوا القدرة على السفر إلى الشمس ولم يحاولوا كما فعل الراحلون؛ بل على العكس يقومون بفعل تثبيط وثنيٍ لكل من يريد أن يحاول التغيير ورفض هذا الزمن السيء، يقولون لهم إن الذين سبقوكم لحقهم الظمأ، وأن نورهم صار ظلاما ، وفرحهم صار حزنا، وأن المياه جفّت أمامهم وصارت طريقهم صحارى، وبوصلتهم تاهت

ورؤيتهم ضاعت ...وهكذا: ((يهمس الراكدون لمن جاء بعد ابتداء السفر

ظمئ الراحلون على متن أحزانهم

الشروق الذي ان يسقيهم الدفء أفقدهم ظلهم

والمياه صحارى

إذا ضاعت البوصلة.(11)

توجّه الذات الشاعرة بعدئذ خطابها بقوة إلى (الراكدون) في أربعة مقاطع ضمن هذا الزمن الحاضر :

ففي المقطع الأول ينتج عنه انعدام فعل الذات في الزمن؛ الذات المتصفة بالركود، قيما سلبية رديئة من الخواء، والحقد، والبلادة:

" أيها الراكدون

الخواء تشرّد فوق موائدكم

شربته العيون/ أعشب في اللفتات

رسم الحقد واندس في الحلمات

أذاب بلادته في الكؤوس" (12).

وفي المقطع الثاني: ينتج قيم الشراهة، والقتامة، والعبوس، والسآمة:

" أيها الراكدون

الشراهة تأكل أوقاتكم وتميت الفرح

حين ألهبكم فرحي

كثفتم موائدكم سحبا في سماء القتامة

تلبد أوجهكم بالعبوس

وأعينكم بالسآمة" (13).

وفي المقطع الثالث: الإفلاس، والكذب، والتبعية والعمالة، وإشعال الحروب:

" أيها الراكدون أفلستكم موائدكم

وأخاف عليكم محادثة الأقنعة

وتجيئون شيئا فريا / وأخاف انتسابكم في غزية أو في فروع البسوس" (14)

ثم في المقطع الرابع نجده لا يقطع منهم الأمل، ويقف معهم موقف الناصح والمرشد لكي يغيروا من أفعالهم السيئة، مثل نشر الأشرعة في فصل الأعاصير ، لعل الله يخرج من أصلابهم من ينقذ الوطن:

" أيها الراكدون

كلما هب فصل الأعاصير لا تنشروا الأشرعة

واصعدوا في الأشعة تستنجدون الشموس

ربما يخرج الضوء من بؤسكم بشرا نرتضيه سويا" (15)

(3) الزمن المستقبل:

بقي أخيرا الزمن المستقبل أو الزمن الآتي، وهو زمن ما زال في الغيب ، زمن الأماني والأحلام ، زمن يتصف بالإيراق والبهاء ، زمن الفجر والأغنيات والعصافير، هذا الزمن سيظل في الحلم وفي التمني يمثل فضاء مفتوحا للأجيال القادمة:

" زمني

هل تعود كما شاء طفلي

مورقا وبهيا؟

العصافير عند مداخل فجرك

تنتظر الأغنيات"(16)

المكان:

الحديث المتقدم عن الزمان لا يعني أنه لا يوجد في النص اهتمام بالمكان، ولكن يعني أن هناك هيمنة للزمان جعلت المكان يتراجع في الحضور في لحظة الفعل، والزمان والمكان وجهان متصلان لا ينفصلان، وليس هما

خلفية سلبية منفصلة عن الأحداث في النص، في الفيزياء الحديثة وفي النسبية كما يقول ستيفن هوكنج في كتابه: تاريخ موجز للزمان: ((تجبرنا نظرية النسبية على أن نغير أفكارنا عن الزمان والمكان تغييرا جوهريا ، فليس هما خلفية سلبية تقع الأحداث إزاءهما، يجب أن نتقبل أن الزمان ليس منفصلا ولا مستقلا عن المكان فهو ينضم إليه ليشكلا ما يسمى الزمان– المكان : time – space)) أو ما يسميه البعض بـ (الزمكان).(17) ، لقد كان الزمان مرتكز القصيدة الأساس لذلك نجد هيمنة لكثير من المفردات الزمانية:

زمني/ الزمن/ يا زمنًا/ زماني/ زمان / أوقاتكم/ الشتاء / الربيع/ السنوات/ موعده/ يجيء/ الشمس/ الشموس/ النهار/ الفجر/ الضوء/ ليل / ظلهم / يشرق/ الشروق/ الأعاصير / الأشرعة/ الفوانيس/ الراحلون/ الراكدون.

التأمل العميق في القصيدة يكشف لنا في هيمنة الزمن مكانا غائبا حاضرا كبيرا ممتدا يمثل مسرحًا لهذه الأحداث كلها هذا المكان هو: الوطن ، حتى ليصح دلاليًا استبدال كلمة (زمني) بكلمة (وطني) والعودة من جديد لقراءة القصيدة هكذا:

" (وطني) لست أنت
(وطني) أثقلته التجاعيد
والراحلون على متنه متعبون
(وطني) كان لحنا تردده الأوردة
(وطني) اليوم منحدر
يمتطيه الذين أصاب عيونهم وهج الشمس
(وطني) يتصحّر
..."

ولأن القصيدة في لحظة فعل وحركة ومحاولة للنهوض، كان الزمان حاضرا بقوة ومع ذلك فإننا لن نعدم إشارات مكانية يمكن الوقوف عندها، هناك ثلاث كلمات مكانية وردت في القصيدة وهي : الأزقة، والطريق، والطرق، وهي كلها في الحقيقة بمعنى واحد يصب في صفة الضيق ، ويكشف أن القصيدة في لحظة حركة ورحلة لإصلاح الزمن، وفيها دلالتان مختلفتان للمكان : دلالة سلبية، ودلالة إيجابية، أما الدلالة السلبية فهي تعود للزمن الحاضر السابق المتميز بفشل الراحلين فيه وعجز الراكدين فالطريق يتميز بالصعوبة في صفات : الصعود، والانزلاق، والانحدار :

" أيها الراحلون
الرحيل إلى الشمس ليل تدافعه نجمتان
والطريق صعود ومنزلق وانحدار"(18) .

ومثلها الضوء المبهم (زمان) في الطرق المغلقة (مكان):

" والفوانيس مبهمة الضوء في الطرق المغلقات"(19).

كذلك الدلالة السلبية للزمن الماضي المتحجر توازيها الأزقة التي هي أمكنة ضيقة مرتبطة بالتكرار والغباء، في الضفادع، والببغاوات، والحمير:

"الترانيم مشبعة بالنقيق
في الهمس ضج الضجر
حولتنا الأزقة كالببغاوات
أصواتنا امتزجت بالنهيق"(20).

بقيت دلالة الطريق الإيجابية وهي تلك المرتبطة بالزمن الماضي الجميل زمن تحضر عند تذكره الأماني والأحلام والأمل والقبلات والنخل، لكنه ضاق امتداده

في النهاية ونالته أيدي الزمن السيء ،عصفت به الأعاصير وسقط في السنوات العجاف:

" الطريق التي مهدتها الأماني
وسار عليه الأمل
مد جسرا إلى القبلات
كان يمتد مبتسمًا في القلوب الوديعة
يشرق في الحدقات
كان يمتد النخل
لكنه ضاق في الامتداد
الأعاصير تنقصه رملةً رملةً
تُرجعه لزمان الوعورة والسنوات العجاف" (21).

طبيعة اللغة الفنية:

تتشكل اللغة في القصيدة من الناحية الفنية في اتجاهات تأثيرية مختلفة ، من حيث معجم المفردات الشعرية في القصيدة أفعالا وأسماء، ومن حيث التراكيب الشعرية والدلالات ، ومن حيث التعالقات التناصية القليلة فيها. تهيمن الدلالة السلبية على المفردات الشعرية في القصيدة، وهو أمر طبيعي كون الزمن لم ينجح في معانقة الوقت والمكان، والنهوض به نحو زمن أخضر غير هذا الزمن الواقعي البئيس الذي نشاهده . ففي معجم المفردات :

(أ) أفعال:

أثقلته/ يمتطيه/ أصاب/ يتصحر/ أحرقته/ خاصمتها/ تدافعه/ أفقدهم/ ضاعت/ تشرّد/ اندس/ تآكل/ ظمئ/ أذاب/تميت/ ألهبكم/ كثّفكم/ تلبّد/ أفلستكم/ أخاف/ أخاف/ تطارد/ تدحرج/ ضج/ حولتنا/ ضاق/ تنقص/ ترجعه.

(ب) أسماء:

التجاعيد/ متعبون/ منحدر/ صعود/ منزلق/ انحدار/ أحزانهم/ صحارى/ الخواء/ الحقد/ بلادة/ الشراهة/ القتامة/ العبوس/ السآمة/ الأقنعة/ الأعاصير/ الأحاجي/جماجمنا/ حجرا/ النقيق/ الضجر/ الأزقة/ الببغاوات/ النهيق/ البلبلة/ الفوانيس/ عصيانها/ مبهمة/ المغلقات/ العجاف/ رملة رملة.

وهناك مفردات قليلة تدل على معان إيجابية غير أنها موجودة إما على الماضي المنتهي، أو على الآتي الذي لم يأت بعد! مثل:

(أ) أفعال:

تردده/ مهدتها/ سار/ يمتد/ يشرق/ تعود/ تنتظر.

(ب) أسماء:

لحن/ الأوردة/ الاخضرار/ الأماني/ الأمل/ جسرا/ القبلات/ مبتسما/ القلوب/ الوديعة/ الحدقات/ النخل/ طفلي/ مورقا/ بهيا/ العصافير/ فجرك/ الاغنيات.

في تركيب لغة الزمن ودلالته نلحظ الاتصال العميق للأنساق بين الزمان والمكان في انفصالهما الذي ينتج قيما سلبية، وكذلك في اتصالهما في الماضي، وفي المستقبل المحلوم به والمتمنّى ما اتضح فيما سبق.

في جوهر الزمن اتصال عميق بين السماء والأرض؛ بين الماء والتراب في أصله الخلْقي والإبداعي في لغة الكون نجد تجليه في لغة النص في (زمني يتصحّر)(22) إذ تكشف كلمة: التصحر عن فقدانٍ لاتصال السماء بالأرض؛ ذلك الاتصال الذي يجعل الأرض تنبت والصحراء وتخضرّ وتزهر، فانفصال السماء (الماء) عن الأرض (التراب) يجعل الزمن يكتسب الصفة المكانية لأثر هذا الانفصال (التصحر) ويستمر في التجدد والديمومة ما تكشف المضارعة في طبيعة الفعل (يتصحّر)، ويصعد النسق في الدلالة إلى أبعاد الحياة التي تمتلئ بالجفاف والفقر والتعاسة...، وإذا كان الزمن هنا يكتسب لون الجفاف ، فإن الزمن الجميل يكتسب لون الخصب؛ فيصبح أخضر : (والزمن الاخضرار)(23).

ونلحظ ذلك الانفصال بين طرفي السماء والأرض في شكل آخر يظهر في اختلال الفصول التي يمثل استقرارها ونظامها سمة الاستقرار والنظام في الحياة؛ لذلك نجد الشتاء يجيء على غير موعده في النظام ، وكذلك الربيع يجيء في موعد كانت الطيور تظنه ربيعا وقد تهيأت له من قبل، فحين حطت على الغصون وجدتها يابسة جافة لا تستقبلها بالخضرة والإزهار؛ وهذا يعني أن الشتاء كان هو الفصل المهيمن على الفصول والمتحكم فيها، وهو الذي يجعل الجفاف سمة زمنية ثابتة؛ فهو يغير النظام، ويخلخل المواعيد، ويفرض هيمنته المطلقة على الزمن:

الشتاء يجيء على غير موعده
والطيور التي هيأت للربيع ملامحها
خاصمتها الغصون(24)

هذا الاختلال في طبيعة نظام الزمن لا يجعل المطر منعدما ، إنما يجعله عامل اختلال لا عامل اتزان وإخصاب! يذهب الخصب وتبقى النار التي تعطي الإحراق لا الإخصاب: (يا زمنا أحرقته المطر)(25) وهو من المفترض حين يحل الربيع، وتتزن الفصول، ويسود الخصب فتكون لغة الزمن هكذا: (يا زمنا أخصبته المطر)، وإذا كان الإحراق يعطي لون (السواد) فإن الإخصاب يعطي لون (الاخضرار)، هكذا يكون لدينا لونان مختلفان لون محلوم به غائب وهو الأخضر، ولون حاضر في الواقع وهو الأسود.

ونرى صورة أخرى لانفصال الزمان عن المكان، والسماء عن الأرض في جعل المكان يأخذ صفة التجاعيد، وهي الصفة التي تكون في الأرض حين تكون جافة خالية من الماء والزرع : (زمني أثقلته التجاعيد)(26)، والتجاعيد هنا تشير إلى (الشيخوخة) و(العجز)، وهي تماثل الدلالة السابقة في (الجفاف)؛ ولكي تتضح الدلالة السلبية للزمن جيدا فإنه يمكن مقارنتها ومقابلتها بالدلالة الإيجابية للزمن المستقبل المحلوم به، وهو زمن يتسم بسمات مضادة من الحيوية، والاخضرار المعنوي، والقدرة على إعطاء البهجة والازدهار، وهي اللحظة المقابلة للتجاعيد، والشيخوخة، والعجز، لحظة الطفولة والإيراق والبهاء

زمني
هل تعود كما شاء طفلي
مورقا وبهيا؟(27)

إن قوة الزمان، وضعف الوقت المرتبط بضعف فعل الذات هو ما جعل فعل القيم السلبية قويا ومهيمنا على النص، كما جعله يتشخص ويكتسب أفعال الكائن

الحي خاصة في مقاطع الراكدين الأربعة، في صيغ استعارية تمثل هذه القيم السلبية كائنات متوحشة : فالشراهة تأكل، والخواء تشرّد، والعيون تشربه، والعبوس يلبد الأوجه...الخ

بقي أخيرا رصد قدرة القصيدة على الامتداد خارج نصها إلى نصوص أخرى يغدو الزمن فيها امتدادا في أشكال من السوء والرداءة في أحداث في التاريخ صاغتها نصوص مميزة تقع خارج هذا النص ، وإن ظلت في إطار النصية.

هناك تعالقات نصية زمنية أربع أضفت على القصيدة أبعادا جديدة؛ اثنتان جاهلية، واثنتان إسلامية قرآنية: أما الجاهلية فهما زمن (غزية)، وزمن (البسوس)، وأما الإسلامية فهما زمن (الكذب) والاتهام في إشارة إلى اتهام السيدة مريم في سورة مريم عليها السلام، وزمن (الشدة) واليباس في إشارة إلى (السنوات العجاف) في رؤية الملك وتأويلها في سورة يوسف.

أيها الراكدون
أفلستكم موائدكم
وأخاف عليكم محادثة الأقنعة
وتجيئون شيئا فريا
وأخاف انتسابكم في غزية
أو في فروع البسوس (28)

تتجه اللغة لمخاطبة النوع الثاني من شخصيات الفعل الحاضر في القصيدة ؛ أما الأول فهم الراحلون الذين يحاولون الوصول لكنهم يعجزون، والثاني هم الراكدون الذين يظلون على سلبيتهم لا يتجهون إلى محاولة تغيير هذا الواقع، واسمهم يدل عليهم: فهم ساكنون آسنون قد وصلوا في القيمة إلى حد الإفلاس الناتج عن الارتزاق وتتبع شهوات البطون، ثم تأتي أفعال الخوف التي تدل على حقيقة السوء أكثر مما تدل على خوف الوقوع، خوف من الوهم والغموض الذي لا يوجد معه تبيّن ووثوق: (محادثة الأقنعة)، وهم يقترفون الكذب والافتراء؛ بل ويمارسون الوخامة والعار : (تجيئون شيئا فريا)، والفرق التناصي هنا في كلمة: (فريا) بينهم وبين اتهام السيدة مريم هو أن الكذب هنا حقيقة ، والكذب هناك اتهام باطل في الآية: ((فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا)).(29)

ثم يستمر الخوف في التناص الثاني لزمن (غزية)، وهو خوف يجعل الذات الشاعرة في مقام الشاعر دريد بن الصمة الذي – رغم رجاحة عقله، وحكمته، ونصحه لقومه – سيضطر في النهاية للرضوخ لقبيلته (غزية) واتّباعهم على الخطأ ، وهو الأمر الذي نجده في قصته حين أغار ومعه أخوه عبدالله ((على نِعَم فاستاقوهما ، فلما كان ببعض الطريق، نزل عبدالله بمكان ، فقال له دريد لا تفعل، فجاءت قيس فأحاطت بهم ، فأول من قتل عبدالله ...فقال:

أمرتُهُمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النّصح إلّا ضحى الغد
فلمّا عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم وأنّني غيرُ مهتدِ
وما أنا إلّا من غزيةَ إن غوتْ غويتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُد))(30)

هكذا يبدو المعنى التناصي في تماثل الحالة من حيث وعي الفرد الفذ في مجتمع يقوده الجهلة الذين لا يعون ولا يسمعون للعقلاء؛ بل يذهبون مع الهوى والجهل يقودون الوطن نحو الهاوية.

والزمن الآخر هو زمن (البسوس) تلك المرأة المشؤومة التي أدخلت قبيلتي بكر وتغلب حربا طويلة دامت أربعين سنة.(31) وهو أمر تتنبأ به القصيدة من خلال هذا الربط الزمني التناصي، ومن خلال الخوف في الفعل المضارع المتكرر والمستمر في زمنه الحاضر الذي لم ينته بعد! هذا الزمن البسوسي الذي يكشف عن استمرار تصارع هذه القبائل في اليمن، ودخولها حروبا يشهد الواقع اليوم على صدق حدوثها، وأنها في هذا الجهل والاستجابة للتحارب هي جزء من أجزاء تلكم القبائل السابقة التي جرّت على أهلها الويلات ، أو بتعبير النص: (من فروع البسوس) .

والزمن الأخير هو زمن السنوات العجاف؛ هذا الزمن الذي جاء في القصيدة بعد المحاولات التي مهدتها الأماني

وسار عليه الأمل
لكنه ضاق في الامتداد
الأعاصير تنقصه رملةً رملةً

ترجعه لزمان الوعورة والسنوات العجاف (32)

هكذا يضيقُ الزمن وينقصُ اتساعُه الأفقي الآني ويصبح زمنًا عموديّا لا فعلَ للإنسان فيه بحيث يقطعه بالعمران ، ولا خصب فيه ولا اخضرار ، والرمال التي تحتاج إلى الماء لتصبح خصبة خضراء تبددها الأعاصير رملة رملة، ولا يبقى غير الجدب واليباس في زمان سيئ متسم بالصلابة والوعورة؛ زمان يعود إلى السنوات العجاف.

وفي ذلك إشارة إلى زمن نبي الله يوسف في سورة يوسف في رؤيا الملك: ((سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)) (33)، ثم تعبيرها بـ ((ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون)) (34)

هكذا يبدو صوت الشاعر النّاصح ، وصوت دريد الحكيم النّاصح، وكلاهما عصاه قومه، فهل يمكن مماثلة صوت النبي يوسف وفعله الذي أنقذ البلاد والعباد؟!

هكذا تنتقي القصيدة أزمنتها الأربعة في فضاء الاتصال النصي هذا : زمن الكذب والعار/ زمن غزية/ زمن البسوس/ زمن السنوات العجاف/ وهو زمن مركب نخشى اليوم أننا نعيشه .

الخاتمة والنتائج:

. يتصل الزمان في اللغة بالوقت اتصالا تنشأ عنه علاقات تحددها مجموعة من الثنائيات المتضادة والمتآزرة معا: الكل والجزء / التتابع والاتساع / الطول والقصر / العمودي والأفقي / السلبي والإيجابي / التأريخي والإنساني / الزماني والمكاني، وهي علاقات ليست ببعيدة عن مفهوم الزمن في النقد الحديث في علاقة: التزامن والتعاقب كما هي في كتاب دي سوسير : علم اللغة العام.

. تَمَثَّل الزمن في القصيدة في وحدة كلية انقسمت إلى أزمنة ثلاثة: ماض، وحاضر ومستقبل؛ أما الماضي ففيه بعدان: الأول جميل وخصب تطمح الذات للوصول إليه، وآخر رديء وجاف يصب في الزمن الحاضر، تقف الذات منه موقف الرفض والإنكار.

. يمثل الزمن الحاضر الزمنَ المهيمنَ على القصيدة، وهو زمنٌ سيّئٌ ورديء، وقد ارتبط هذا الزمن الحاضر من زاوية التغيير بنوعين من الناس: نوع إيجابي يحاول التّغيير لكنه

يعجز، وهم (الراحلون)، ونوع سلبي لا يحاول وهم (الراكدون) وقد تركزت مقاطع أربعة من القصيدة عليهم وعلى فعلهم السلبي، وما ينتج عن انفصالهما عن الفعل في الزمان إلى إنتاج قيم سلبية من: الخواء، والحقد، والبلادة، والشراهة، والقتامة، والعبوس، والسآمة، والإفلاس، والكذب، والتبعية، والعمالة، وإشعال الحروب.

.كانت ألفاظ الزمان مهيمنة، وذات حضور واضح أكثر من ألفاظ المكان؛ لأن القصيدة في حالة فعل وحركة، فكانت ألفاظ: الطرق والطرقات والأزقة هي الظاهرة على سطح النص، غير أن المكان الحاضر الغائب الذي يتعاقب عليه الزمان هو الوطن، أما الوقت فلم يرد سوى مرة واحدة في صيغة الجمع.

. تجلت في لغة القصيدة وفي معجمها أفعال وأسماء سلبية موجودة في متن البحث، وفي دلالة صياغات القصيدة بدا الانفصال بين الزمان والمكان؛ والسماء والأرض، والماء والتراب، كان معها اللون الأسود لونا مميزا لهذه الصفات، في حين بدا لون الخصب المحلوم به هو اللون الأخضر.

. استطاعت القصيدة أن تتعالق مع نصوص ذات طبيعة زمنية خارج بنية نصها، مع بقائها ضمن النصية، في اتصال مع أربعة أزمنة تاريخية نصية ماضية وهي: زمن الكذب والعار متصلا بسورة مريم في القرآن الكريم/ وزمن السنوات العجاف متصلا بسورة يوسف في القرآن الكريم / وزمن غزية القبلي متصلا بقصيدة دريد بن الصمة / وزمن البسوس المشئوم متصلا بحكاية تلك المرأة التي جرّت على قومها حربا طويلة المدى.

. مثلت القصيدة أخيرا تحليلا، وتشخيصا، وتنبؤًا للزمن اليمني الحاضر، واستمرارا للحرب ، والفساد وتدنيا للوعي المعتمد على الوعي القبلي الأهوج.

القصيدة:

زمني لست أنت

زمني أثقلته التجاعيد
والراحلون على متنه متعبون
زمني كان لحنا تردده الأوردة
زمني اليوم منحدر
يمتطيه الذين أصاب عيونهم وهج الشمس
زمني يتصحر
والزمن الاخضرار
يا زمنا أحرقته المطر
الشتاء يجيء على غير موعده
والطيور التي هيأت للربيع ملامحها
خاصمتها الغصون
أيها الراحلون
الرحيل إلى الشمس ليل تدافعه نجمتان
والطريق صعود ومنزلق وانحدار
يهمس الراكدون لمن جاء بعد ابتداء السفر
ظمئ الراحلون على متن أحزانهم
الشروق الذي كان يسقيهم الدفء
أفقدهم ظلهم
والمياه صحارى إذا ضاعت البوصلة
أيها الراكدون
الخواء تشرد فوق موائدكم

شربته العيون
أعشب في اللفتات
رسم الحقد
واندس في الحلمات
أذاب بلادته في الكؤوس
أيها الراكدون
الشراهة تأكل أوقاتكم وتميت الفرح
حين ألهبكم فرحي
كتفتكم مآتمكم سحبا في سماء القتامة
تلبد أوجهكم بالعبوس
وأعينكم بالسآمة
أيها الرادون
أفلستكم موائدكم
وأخاف عليكم محادثة الأقنعة
وتجيئون شيئا فريا
وأخاف انتسابكم في غزية
أو في فروع البسوس
أيها الراكدون
لما هب فصل الأعاصير
لا تنشروا الأشرعة
واصعدوا في الأشعة
تستنجدون الشموس
ربما يخرج الضوء من بؤسكم بشرا
نرتضيه سويا
أيها الراحلون
في زماني روائح جدي تطارد رائحتي
هل زمان الأحاجي تدحرج فوق جماجمنا
حجرا
الترانيم مشبعة بالنقيق
في الهمس ضج الضجر
حولتنا الأزقة كالببغاوات
أصواتنا امتزجت بالنهيق
في زماني حروف تفوح برائحة البلبلة
الحروف التي أسمعتنا أغاني الهزار
أعلنت للقواميس عصيانها
حين ولى النهار
والقواميس مبهمة الضوء في الطرق
المغلقات
الطريق التي مهدتها الأماني
وسار عليها الأمل
مد جسرا من القبلات
ان يمتد مبتسما في القلوب الوديعة
يشرق في الحدقات
كان يمتد كالنحل
لكنه ضاق في الامتداد
الأعاصير تُنقصه رملةً رملةً
ترجعه لزمان الوعورة والسنوات العجاف
زمني:
هل تعود كما شاء طفلي
مورقا وبهيا؟
العصافير عند مداخل فجرك تنتظر الأغنيات.

الهوامش:

1) النصوص التي بين الأقواس مأخوذة كلها من لسان العرب في مادتي (زمن) و(وقت).

2) النساء: 103.

3) ينظر: مبدأ الاختلاف والثنائيات في لغة القرآن الكريم، أحمد سعيد عبيدون مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، يوليو 2019: 259.

4) ينظر: علم اللغة العام98، 99. ونظرية البنائية: 24. ومفاهيم الشعرية: 54، 55.

5) الديوان: 33، 34.

6) الديوان:33 .

7) المصدر السابق:36، 37 .

8) السابق: 33.

9) المقتصد في شرح الإيضاح: 1 / 505 .

10) السابق: 34 .

11) السابق: 24.

12) السابق: 34، 35.

13) السابق: 35.

14) السابق: 35،36.

15) السابق: 36.

16) السابق: 38.

17) ينظر تاريخ موجز للزمان– من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء– : 320 .

18) الديوان: 34.

19) المصدر السابق: 34.

20) السابق: 36، 37.

21) السابق: 37 ،38 .

22) السابق: 33.

23) السابق 33 .

24) السابق: 33 .

25) السابق33.

26) السابق 33.

27) السابق: 38.

28) السابق: 35 ، 36.

29) مريم: 27.

30) مرآة الزمان: 4 / 119.

31) تنظر القصة في: الكامل في التاريخ: 474/1.

32) الديوان: 37، 38.

33) يوسف: 43.

34) يوسف: 48.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر.

أوغلي، شمس الدين، (1434 هـ . 2013 م) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، الطبعة الأولى، تحقيق محمد رضوان عرقسوس، دار الرسالة العربية، دمشق، سوريا.

– بارجاء، علي أحمد، (1425 هـ . 2004 م) رواء، الطبعة الأولى، مركز عبادي للدراسات والنشر، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، صنعاء.

– الجرجاني، عبد القاهر، 1982م، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

-هوكنج، ستيفن، 2001، تاريخ موجز للزمان . من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء . ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المجلات:

مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الرابع " دور العلوم الإنسانية في تحقيق التنمية المستدامة " الجزء الأول 24 . 25 يوليو 2019، المكلا.

-دي سوسير، فرديناند، 1985، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك المطلبي، الطبعة الأولى، دار آفاق عربية، بغداد.

- فضل، صلاح، 1987، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الثالثة، دار الشئون الثقافية بغداد.

- ناظم، حسن، 1994، مفاهيم الشعرية . دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم . الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي.